

التبيان في تفسير القرآن

(431) كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون (111) آيتان بلا خلاف. قرأ ابن عامر وحده " فتنوا " جعل الفعل لهم. الباكون " فتنوا " على ما لم يسم فاعله، يقال: فتننت زيدا، وهي اللغة الجيدة، وحكي افتنت. وحجة من قرأ على ما لم يسم فاعله أن الآية نزلت في المستضعفين المفتنين بمكة: عمار وبلال، وصهيب، فانهم حملوا على الارتداد عن دينهم، فمنهم من أعطى ذلك تقية منهم: عمار، فانه اظهر ذلك تقية، ثم هاجر. ومعنى قراءة ابن عامر: انه فتن نفسه، والمعنى من بعد ما فتن بعضهم نفسه باظهار ما اظهره بالتقية قال الرمانى: في الآية دلالة على انهم فتنوا في دينهم بمعصية كانت منهم، لقوله " ان ربك من بعدها لغفور رحيم " لان المغفرة الصفح عن الخطيئة، ولو كانوا أعطوا التقية على حقها لم تكن هناك خطيئة. وهذا الذي ذكره ليس بصحيح، ولا في الكلام دلالة عليه، وذلك ان □ تعالى إنما قال " ان ربك من بعدها " يعني بعد الفتنة التي فتنوا بها " لغفور رحيم " أي سائر عليهم، لان ظاهرهما اظهره يحتمل القبيح والحسن، فلما كشف □ عن باطن امورهم، واخبر انهم كانوا مطمئنين بالايمان كان في ذلك ستر عليهم، وازالة الظاهر المحتمل إلى الأمر الجلي، وذلك من نعم □ عليهم. يقول □ تعالى: إن هؤلاء الذين هاجروا بعد ما فتنوا عن دينهم، وجاهدوا في سبيله وصبروا على الاذي في جنب □، فان □ اقسم انه ضمن لهم أن يفعل بهم الثواب، وسائر عليهم، ورحيم بهم منعهم عليهم. وقوله " يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها " (يوم) منصوب بأحد شيئين: احدهما - على معنى إن ربك من بعدها لغفور رحيم (يوم). الثاني - على معنى واذكر يوم، لان القرآن عظة وتذكير، ومعنى تجادل عن نفسها تخاصم كل نفس عن نفسها، وتحتج بما ليس فيه حجة عند الحساب.